

المحاضرة الثالثة

نشأة وتطور علوم التربية 01



الهدف الخاص للمحاضرة:

- أن يتعرف الطالب على أهمية نشأة وتطور التربية.

الأهداف الإجرائية:

- أن يذكر الطالب أهم خصائص التربية في الحضارات القديمة.
- أن يحدد الطالب طريقة التربية لدى الحضارات القديمة.

1- أهمية دراسة تاريخ التربية:

تبرز أهمية دراسة تاريخ التربية من خلال قدرة التاريخ على كشف الجذور الفلسفية والاجتماعية، التي بنيت عليها النظم التعليمية المعاصرة، مما يتيح للمتخصصين إدراك الأسباب الكامنة وراء تبني سياسات تربوية معينة دون غيرها. علاوة على ذلك يمثل التاريخ مختبراً واسعاً للتجارب البشرية، حيث يساعد فحص النجاحات والاختفاقات السابقة في صياغة رؤى نقدية تجنب الميدان التربوي تكرار الأخطاء، وتدعم تبني نماذج أثبتت فاعليتها عبر العصور. كما تساهم هذه الدراسة في تعميق الهوية المهنية للمعلم من خلال ربطه بالإرث الفكري للحضارات الإنسانية، مما يعزز لديه القدرة على المواءمة بين الأصالة الثقافية والمتطلبات التقنية الحديثة، ويؤكد في الوقت ذاته على أن التربية هي ظاهرة ديناميكية تتطور بتطور المجتمعات واحتياجاتها المتغيرة. وتعتبر نشأة وتطور علوم التربية رحلة تحوّل الفكر التربوي من مجرد تأملات فلسفية وممارسات تقليدية، إلى حقل علمي متعدد التخصصات يستند إلى البحث التجريبي والمنهج العلمي.

2- التربية في المجتمعات البدائية:

يرى العمراني 2012 أن التربية في المجتمعات البدائية ببساطتها الشديدة وعفويتها، حيث كانت تسبق ظهور المدارس والمؤسسات التعليمية المتخصصة بالآلاف السنين. وقد ارتبطت هذه التربية ارتباطاً عضوياً بنمط الحياة اليومي، حيث لم تكن تتفصل عن عملية البقاء ذاتها. واتسم الفكر البدائي بنظرة إحيائية للطبيعة، حيث اعتقد الإنسان الأول بوجود قوى روحية غير مادية تقف خلف كل الظواهر المادية، مما جعل أهداف التربية تنحصر في ثلاثة محاور رئيسية: المحافظة على التقاليد السائدة، تحقيق متطلبات البقاء المادي والأمن النفسي، واسترضاء القوى الطبيعية والروحية. أما من حيث المنهج والوسائل، فقد اعتمدت التربية البدائية على تدريبات عملية مباشرة شملت تأمين الاحتياجات، الجسدية (كصيد الحيوانات وصناعة الأدوات)، والتدريب على الطقوس الدينية لإرضاء الأرواح، بالإضافة إلى تعلّم العادات والتقاليد اللازمة للاندماج الجماعي.

كما يرى **العمراني** أنه كانت الأسرة والمجتمع هما المؤسستين التعليميتين الأساسيتين، حيث يتم تلقين الناشئة عن طريق المحاكاة والتقليد الأعمى لأفعال الكبار، واحتلت اللغة والطقوس الدينية مكانة الصدارة في تكوين شخصية الفرد البدائي. وفيما يخص طرق التدريس، فقد تدرجت من طريقة الطبيعة الأم التي يحاكي فيها الإنسان حركات الحيوانات وظواهر الطبيعة، وصولاً إلى التقليد غير الواعي ثم التقليد الواعي (طريقة المثل). كما استخدم الإنسان البدائي أسلوب التجربة والخطأ في الحالات التي لا تتعارض مع تقاليد القبيلة. ومع تطوّر المجتمعات وظهور طبقة الكهنة، بدأت تتبلور طريقة التلقين التي ركزت على تعليم شعائر العبادة وكيفية ممارسة أنشطة الحياة، وهي الطريقة التي لا يزال لها صدى في بعض الممارسات التعليمية المعاصرة.

3- التربية في الحضارات القديمة:

3-1: الحضارة اليونانية:

يرى **عبد الدايم 1984** أنّ التربية اليونانية تنطلق من فلسفة تحررية تضع الفرد في المركز، نقيضاً للجمد الشرقي حيث سعت إلى تحقيق توازن مثالي بين الكمال الروحي والجمال الجسدي. وبينما انغلقت إسبرطة في نموذج عسكري جاف أورث غلظة الطبع، قدمت أثينا نموذجاً تعليمياً متكاملًا قام على ركائز أساسية شكّلت وجدان المواطن اليوناني:

✓ **المحور الفكري (النحو والأدب):** إذ لم يقتصر النحو على القواعد، بل كان مدخلاً لدراسة ملاحم هوميروس باعتبارها دستور القيم، مع اهتمام فائق بسلامة النطق وعلوم الحساب والهندسة.

✓ **المحور الجسدي (الرياضة والبطولة):** مُورست في **البلاسترا Palestra** ليس بغرض القوة الغاشمة، بل لتحقيق تناغم القوي والوصول إلى مفهوم البطولة والانسجام مع الروح.

✓ **المحور الروحي (الموسيقى والحن):** اعتبرها الأثينيون رياضة للروح ووسيلة لغرس النظام والسكينة في النفس، فالموسيقى عند أفلاطون هي الأداة الأرقى لتهديب الأهواء وتنمية الذوق السليم.

✓ **المحور النفسي (الخطابة والفلسفة):** مع ظهور السفسطائيين، تحوّلت التربية نحو بلاغة القول ومقارعة الخصوم حيث تنبوا مبدأ **بروتاغوراس** (أشهر وأول الفلاسفة السفسطائيين في اليونان القديمة) بأنّ الإنسان مقياس كل شيء، مما جعل الغاية التربوية هي تمكين الشاب من تسخير الحقائق لخدمة مصالحه وإثبات حجته.

بهذا الانتقال من تربية الروح والجسد إلى تربية الخطابة والإقناع، اكتملت ملامح التعليم اليوناني الذي سعى لصناعة إنسان قادر على التعبير عن ذاته والتأثير في مجتمعه بكل الوسائل الفكرية والبدنية.

3-2: حضارة وادي الرافدين:

3-2-3: **التربية عند الكلدانيين:** الكلدانيون شعب آسيوي، سكنوا البقاع الخصبة بين نهري دجلة والفرات. وقد عرفوا المدارس وكان معلموهم من السحرة، والمعابد هي المراكز الرئيسية للنشاط الفكري، وقد كانت للكلدانيين لغتهم الخاصة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية. أمّا التربية العالية فقد اقتصر على السحرة والطبقات العليا من المجتمع، وكان التعليم فنياً وعملياً بالدرجة الأولى. وهدف إلى تكوين تجار وكُتّاب، كما اهتموا بدراسة الدين والفلك والتنجيم والتاريخ وعلوم التجارة والمحاسبة. وكشفت الحفريات عن مجموعة من مؤلفاتهم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية، وقد انقرض الكلدانيون غير أنهم أورثوا الأمم من بعدهم حضارة متقدمة عميقة الجذور.

3-2-2: **التربية عند البابليين والآشوريين:** البابليون هم شعب كان يقيم في أسفل حوض نهري دجلة والفرات، بينما سكن الآشوريون في الجزء العلوي. كان شعبهما نزاعاً إلى التدين، كما عرف المدارس وكانت المعرفة ضرورية لديهم لتوفير الهناء والرفاهية للأفراد، ويحتفظون بوساطتها

بسمعة وطنهم أمام سواهم. كما عرف شعبهم جدول الضرب والنظام العشري في العدّ، ونظام تعليم القراءة عن طريق تجميع مقاطع الكلمات، والفلك والرياضيات، وأوجد نظام الأسبوع المؤلف من سبعة أيام والتشريع والنظام وأشهرها شريعة حمورابي، كما وضع الآشوريون تصنيفات مهمة للمملكتين النباتية والحيوانية.

3-3: الحضارة الصينية:

رغم أنّ الصين من أقدم أمم العالم، إذ تعود إلى أربعة آلاف سنة خلت فإنّها لم تتقدم إلا قليلا طوال تلك المدّة، وبقيت حياة الشعب مجمدة في أشكال ثابتة لم تتغيّر مثلهم العليا ومعتقداتهم.

3-3-1: خصائص التربية الصينية:

تعدّ التربية الصينية نموذجا واضحا للتربية الشرقية، وتتصف بعدّة خصائص منها:
- تتصف بروح المحافظة.

- تنشئ الفرد على عادات فكرية وعملية ماضية.

- لا تقوي أية ملكة ولا تغيّر أية عادة وفق مقتضيات الظروف الجديدة.

- السكون المطلق والجمود الفكري، فكل شيء محدد بالتقاليد الموروثة.

فالتراث لديهم مقدّس ولا يتغير كما أنّ الشعب الصيني امتاز بخضوعه للتقاليد وجزئياتها وبتقديسه لها بصورة كلية واستمر هذا الشعب ولفترة زمنية طويلة على الخضوع للماضي وتمثل محتوياته، فقد خضعت التربية بنظمها ومادتها وأساليبها وأهدافها خضوعا كليا للتقاليد القديمة واتصفت نتيجة لذلك بروح المحافظة ومقاومة التجدد، وظلّ الأمر كذلك إلى أن جاء كونفوشيوس وأوجد مفهوما جديدا للتربية التي تهتم بدراسة الفضيلة، وخدمة الأقارب وأدب اللباس وأشياء كثيرة في شؤون الفلسفة الروحية، وكان ذلك يتم عن طريق المدارس التي كانت تهتم بنظام الامتحانات التي يدخلها التلميذ. وتهدف التربية عند الصينيين القدماء إلى تعريف الفرد على صراط الواجب الحاوي جميع أعمال الحياة، وعلاقة هذه الأعمال بعضها ببعض وإخراج طبقة من الحكّام.

3-3-2: نظام الامتحانات عند الصينيين القدماء:

الامتحانات لدى أبناء الصين هي المعيار الذي ينتخب به موظفو الحكومة، والناجح فيها يكون موضع ثقة الشعب واحترامه. وله لباس خاص به يرتديه وأوسمة خاصة يحملها وله الصدارة في الحفلات والأعياد والمواسم، وتجري الامتحانات تحت إشراف الحكومة التي تعهد بإدارتها إلى لجنة مؤلفة من كبار العلماء الذين سبق لهم ان اجتازوا هذه الامتحانات نفسها. وتقسم هذه الامتحانات إلى أقسام ثلاثة:

- ◀ **امتحانات الدرجة الأولى:** وتجري مرة كل ثلاثة أعوام، ويطلب من الطالب فيها أن ينشئ ثلاث رسائل في موضوعات مختارة من كتاب كونفوشيوس، ويوضع في حجرة خاصة منفصلا عن غيره حيث يمكث 24 ساعة وهو يجهد عقله في كتابة الموضوعات، ونسبة النجاح في هذه الامتحانات ضئيلة جدا لا تتجاوز 4%.
- ◀ **امتحانات الدرجة الثانية:** وتقام بعد مضي أربعة أشهر على امتحانات الدرجة الأولى، وتجري مرة كل ثلاثة أعوام أيضا وتدوم ثلاثة أيام وتشبه في أسلوبها ونهجها الامتحانات الأولى غير أنها أعمّ منها وأكثر صعوبة، ونسبة النجاح فيها ضئيلة أيضا لا تتجاوز 1%.
- ◀ **امتحانات الدرجة الثالثة:** وتقام في العاصمة وتدوم ثلاثة عشر يوما، ونسبة النجاح فيها أكبر منها في الامتحانات الأخرى.

البلاسترا: Palestra هي مدرسة التربية البدنية الخاصة بالأطفال والفتيان، حيث يتوجه إليها الصبي الأثيني (غالبا من سن السابعة أو الرابعة عشرة) ليتلقى تدريبات رياضية منظمة.

السوفسطانيون: هم معلمون جوالون كانوا ينتقلون بين المدن اليونانية (خاصة أثينا) لتقديم دروس في الأدب والسياسة والخطابة.

3-4: الحضارة المصرية القديمة:

كان المصريون القدامى يؤمنون بالبعث بعد الموت وبخلود الروح، والثواب والعقاب في الدار الآخرة وكانوا يعتقدون أن الأرواح تعود لتسكن الأجساد من جديد، ولهذا لجأوا للتحنيط وبنو الأهرامات ليحفظوا فيها جثث ملوكهم. ومن خصائص التربية لدى قدامى المصريين نجد:

-يعيش الطفل في سن الرابعة مع ألباه.
-التربية لم تكن لينة فمنذ السنة الأولى من عمر الطفل يمشي حافي القدمين، حليق الرأس وطعامه من خبز الذرة.

-تقدّم الأم للطفل شيئاً من المبادئ الدينية والخلقية.

-الدراسة تشتمل على الدين وآداب السلوك، القراءة والكتابة، الحساب، السباحة والرياضة البدنية.

-يتم الانتقال من المدرسة الأولى إلى المدرسة العليا بعد امتحان يؤديه الطالب.

-كان يغلب طابع الدراسة الفنية والمهنية في التعليم، وكان الأساتذة يستعملون الضرب بالعصا فالنظام المتبع كان قاسياً، ومن حكمهم الشائعة "أن للطلاب صلبا وهم يفهمون الأمور فهماً أفضل عندما يضربون".

كما كانت هناك مرحلة متقدمة وهي عبارة عن مدارس نظامية، يقوم بالتعليم فيها معلمون مختصون إلا أنها كانت تقتصر على أبناء الفراعنة والطبقة الأولى والخاصة، وكذا مرحلة التعليم العالي حيث تدرس علوم الرياضيات والفلك والطب والهندسة. (غتم 2019، ص236)

3-5: الحضارة العربية (العصر الجاهلي):

كان العرب في الجاهلية ينقسمون إلى قسمين كبيرين هما: البدو والحضر، وكانت العائلة هي أهم وسائل التربية عند العرب وخاصة البدو منهم، وكان أهم ما يتعلمه البدو هو الصيد والرماية والقنص وإعداد آلات الحرب. بالإضافة إلى تعلم القتال لردع الأعداء ومنازلة الوحوش الصحراوية، وكانت الوسيلة التربوية المتبعة في ذلك كله هي المحاكاة والتقليد أو طريقة النصح والإرشاد من كبار السن وشيوخ العشائر. وكانت التربية مقتصرة على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقليل من الحساب، وأما الحضر فقد كانت تربيتهم أكثر رقياً وتقدماً من البدو، وانقسمت إلى قسمين: ابتدائية وعالية، وكانت لهم طرق في التدريس لا تعتمد على الحفظ والتقليد مثل البدو، وكان التعليم عندهم انفرادياً إذ يخصص كل معلم جزء من وقته لكل تلميذ وكان لأهل الحضر مدارس ومعاهد للتربية والتعليم، وأماكن لطلب العلم.

4- أهم المصطلحات الواردة في المحاضرة بالفرنسية والانجليزية:

المصطلحات	الفرنسية	الانجليزية
المجتمعات البدائية	Sociétés primitives	Primitive societies
الحضارات القديمة	Civilisation anciennes	Ancient civilizations
الحضارة اليونانية	Civilisation grecque	Greek civilization
الحضارة الصينية	Civilisation chinoise	Chinese civilization
الحضارة المصرية القديمة	Civilisation de l'Égypte antique	civilizationAncient Egyptian civilization
الحضارة العربية (عصر الجاهلية)	Civilisation arabe (L'ère préislamique)	Arab civilization (pre-islamic era)

جدول رقم 03: يمثل أهم المصطلحات الواردة في المحاضرة بالفرنسية والانجليزية